مجلة ميلاف للبحوث والدراسات
المجلد 8 العدد 1 / جوان 2022
ص ص 294-305

إشكالية المصطلح وواقعه في الممارسات النقدية العربية

The Question of the Term and Its Reality in Arab Critical Practices

سليمان مودع
مخبر الدراسات الأدبية والنقدية، المركز الجامعي عبد الحفيظ بو الصوف ميلة، (الجزائر)،
mouada.slimane@centre-univ-mila.dz

الاستلام: 2022/01/20 القبول: 2022/06/15 النشر: 2022/06/30

ملخص:

لقد مست الحاجة في حياتنا العلمية والنقدية إلى المصطلح باعتباره مفتاحا للفهم الدقيق وللتواصل المعرفي، فيصير للكلمة معنى خاصا – بدل معناها العام، فالمصطلح كلمة محددة اكتسبت شحنة دلالية معينة بالاستعمال في مجال علم محدد، وبهذا أقصيت عن جمالية الانزياح اللغوي، وبذلك يتجاوز المعنى اللغوي المعجمي معنى جديدا يناسب المفهوم المعبر عنه في مجال تخصص يعنيه، يقر به أهله ويتواصلون به بعدما تواضعوا عليه، وبهذا يصير أداة تواصل حضاري لتأدية المعنى بدقة.

ومما يجب ذكره غنى ارثنا العربي بمصطلحات نقدية ولسانية انبثقت من زخم حضارتنا العلمية، إلا أن انحسار دورنا الحضاري في عصر الانحطاط أثر على كياننا المعرفي، والأمة تسعى جاهدة لاستعادة مكانتها المعرفية بالرجوع إلى تدقيق المصطلح، لتساير واقعها الحضاري الجديد ببناء مفاهيم علمية جادة تؤدي بها رسالتها الحضارية.

الكلمات المفتاحية: المصطلح؛ التواصل؛ الانزياح اللغوي؛ المعجم.

Abstract:

The term has been needed in our scientific and critical practices as a key to accurate understanding and knowledge communication, so that the word has a special meaning - instead of its general meaning. The term is a specific word that has acquired a certain semantic charge by use in a specific field of science, and thus it has been excluded from the aesthetic of linguistic displacement. Thus, the lexical linguistic meaning transcends a new meaning that fits the concept expressed in a field of specialization that concerns it, acknowledged by its people and communicates with it after they were humbled by it, and thus becomes a civilized communication tool to perform the meaning accurately.

It must be mentioned that our Arab heritage is rich in critical and linguistic terms that emerged from the momentum of our scientific civilization. However, the decline of our civilized role in the era of decadence affected our knowledge entity. Our nation is striving to restore its epistemological position by referring to the scrutiny of the term, in order to keep pace with its new civilized reality by building serious scientific concepts that carry out its civilized mission.

Keywords: Term; Communication; Linguistic Displacement; Lexicon.

1. تمهيد:

تطلبت حياتنا العلمية والنقدية المصطلح باعتباره مفتاحا للفهم الدقيق ويحقق التواصل المعرفي بدقة ويسر.

فمنذ عصر النهضة أدرك العالم العربي الهوة السحيقة التي تردى فيها كيانه الحضاري لانغلاقه على ذاته، وانشغاله بالذود عن وجوده بعدما أصيبت الأمة بالوهن والتشتت لطمع الطامعين وتآمر المتآمرين.

انفتح العالم العربي على العالم الغربي المتمدين، وشرع المصلحون العرب والمثقفون خاصة ينهلون من معينه، بعدما أتقنوا اللغات الغربية (الفرنسية والانجليزية) خاصة لأنها وسيلة التواصل والاطلاع، وكانت اللغة العربية أداة الدرس والتأليف والتأصيل، وكان من الطبيعي أن تعترضهم مصطلحات علمية وألسنية ونقدية وهم يخوضون غمار البحث والدرس، ويغو صون في بطون الكتب، ويقلبون صفحات الدراسات والبحوث ، ومن هنا برزت في لغتنا العربية الحاجة إلى المصطلح وضبطه وتكريسه تماشيا مع الواقع الحضاري والمعرفي والعلمي الجديد.

ومن الأهمية أن نذكر هنا أن المصطلحية علم له تخصصاته، ورجاله الذين يضطلعون به، لكن هذا لم يحدث في البلاد العربية، وإن حدث فمن غير تنسيق أو إجماع، أو توحد في الرؤى ليتبلور في قوالب محددة، الأمر الذي أدى لفوضى عارمة فصار لكل بلد ولكل دارس مصطلحا ته ، وهذا راجع في تقديري لانعدام أو ضعف الهياكل المؤسساتية المتخصصة في المصطلح، وضعف التواصل أو انعدام الحوارية بينها، مما أوجد أزمة المصطلحية في لغتنا العربية.

2. المصطلحية: المفهوم والتعريف:

تعد المصطلحية من الأسس والمعايير التي يتواضع عليها الباحثون والأكاديميون في مجال علمي أو ثقافي أو نقدي فتصير مفاتيح لها " فمصطلحات العلوم منتهى مقاصدها ومجمع حقائقها المعرفية، وعنوان ما به يتميز حقل معرفي عن سواه "[1].

تشير كلمة المصطلح إلى معنى خاص محدد، وبذلك يتأصل مفهوم الكلمة الجديد عند المتخصصين في مجال علمي ومعرفي معين، وتصبح الكلمة دالا يدل على مدلول واضح دقيق ومحدد، وبهذا تبتعد الكلمة عن معناها المعجمي العام لتحمل معنى جديدا؛ ومنه فإن المصطلح" لفظ موضوعي يتواضع عليه المختصون بقصد أدائه معنى معينا بدقة ووضوح بحيث لا يقع أي لبس في ذهن القارئ أو السامع لسياق النص"[2].

ومن الملاحظ أن المصطلح حينما يتخذ للتعبير عن مفهوم أو فكرة للتواصل بين المتخصصين والباحثين في مجال علمي معين، يتطلب فيه الدقة والوضوح ووحدة المرجع وبدون هذا فإن المصطلح يفقد قيمته الإجرائية في الممارسة وصرامته العلمية في التحديد العرفاني.

فالمصطلح أداة لضبط الفكرة المعرفية، يتميز بكونيته في اللغة التي وجد فيها؛ لأنه وسيلة للتفاهم والتواصل بين فئة معينة في مجال محدد من المجالات المعرفية.

وعليه فإن المصطلحات هي مفاتيح العلوم، ومحددات لحقائقها ومقاصدها، بها نميز الحقول المعرفية وفق معايير متعارف عليها أكاديميا بين الباحثين وفي المؤسسات العلمية والثقافية.

3. نشأة المصطلحية:

يعتبر الاشتغال بالعلوم والفنون والآداب صناعة ولا بد على القائمين عليها من إجادتها وحذقها.

ولقد أشار إدريس الناقوري في دراسته لكتاب" نقد الشعر" لقدامة بن جعفر الموسوم بـ" المصطلح النقدي في نقد الشعر إلى" وجود اللفظ صراحة في معاجم العلوم العربية اللغوية كالنحو والعروض والبلاغة أو تداولها في علوم اعتبرت دخيلة كالفلسفة وعلم المنطق

فلكل صناعة ألفاظ -كما قال الجاحظ - ولا يتسنى لممارسيها ذلك إلا بمعرفة الألفاظ الخاصة المتداولة في مجالها وهذا ما نسميه" بالمصطلحات".

فهل سلم المصطلح النقدي من ضيم المترجم كما قال الجاحظ؟ ![3]

والظاهر أن الحاجة هي التي تفرض وجود المصطلح، ومما يجب ذكره أنه ينشأ محليا وبلغة الحياة اليومية ،وفي اللغة العربية التي كانت لغة الحياة والعلم والحضارة نجد أن الحاجة للمصطلح أخذت في الزيادة منذ القرن الهجري الأول. عمل العرب منذ بداية الفتح الإسلامي للأمصار، على إدارة البلدان المفتوحة، وانطلقت في الدولة الأموية إقامة هياكل إدارية، فجعلوا اللغة العربية لغة رسمية " فكان من الواجب إذن أن تترجم إلى العربية كل الوثائق الإدارية، مثل العقود والسجلات والمحفوظات"[4])

وما إن أقبل القرن الثالث للهجرة حتى أمست الحاجة ملحة للمصطلح في مختلف العلوم والفنون من نحو وعروض ونقد...، كما تأثرت العربية بالثقافات الأجنبية بسبب الترجمة من اليونانية والهندية والفارسية والسريانية، وقد استفادت العربية منها أيما إفادة، ويظهر ذلك بجلاء خاصة في مختلف العلوم العقلية والنقلية. ويوضح الجاحظ زخم هذا التلاقح الثقافي الذي دفع الباحثين لإيجاد المصطلح فيقول: " وهم تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء، وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم فصاروا بذلك سلفا لكل خلف وقدوة لكل تابع "[5]

ولقد وجدت هذه المعضلة منذ العصر العباسي، ولهذا تطلب ترجمة موضوع ما الإحاطة به وبالتخصص وبالعلم الذي يتناوله لانجاز موضوع محترم.

فوجود عدد من الألفاظ الخاصة بالعلوم والفنون اقتضى الاصطلاح والتدقيق المعرفي بين المتعاملين بها. ففي القرن الثامن الميلادي أخذ الخلفاء في العصر العباسي يشجعون المترجمين كـ " حنين بن إسحاق وتلميذه حبيش وابنه إسحاق، فقد كانوا كلهم أطباء، كما كان الإخوة شاكير (أبو جعفر وحسن وأحمد) مترجمين أيضا "ولم يكن هؤلاء المترجمون لغويين فقط بل مختصين في المجالات التي يترجمون فيها، وبخاصة فيما يتعلق بعلوم مثل الطب والفلك والرياضيات "[6].

4. مشكلات المصطلحية:

برز مشكل المصطلح منذ العصر العباسي – كماذكرت- في الترجمة، فعند وجود المصطلح على مستوى الكلمات المفاتيح التي تبرز في علم من العلوم أو فن من الفنون وبها يتواصل العاملون ، فعمد هؤلاء المترجمون لحل المعضلة باستبدال الألفاظ اليونانية بنحتها من جذور عربية ، وإذا لم يتح لهم ذلك لجؤوا إلى

استعمال الألفاظ اليونانية، مع إدخال بعض التغيرات الصوتية عليها لتصير معربة، وقد يخترعون ألفاظا اصطلاحية جديدة، وقد يكون نقل المصطلح حرفيا لعجز عن ترجمته بدقة وهذا لعدم وجود المقابل له في العربية ،"وكانت الاستدانة المباشرة الحل الأكثر استعمالا لدى أوائل المترجمين الذين لم يكونوا قادرين على الاشتقاق من مفردات عربية اغتنت بمفاهيم جديدة وألفاظ علمية ، أو إن عدم تمكنهم بشكل كاف باللغة العربية وآلياتها، لم يسمح لهم بنحت ألفاظ جديدة مستخدمين الجذور العربية "[7].

فهناك الكثير من الألفاظ اليونانية التي اقترضتها العربية؛ لأنها غير موجودة فيها، لكنها عربت صوتيا لتكون ألفاظا جديدة، كما لجأ المترجمون إلى اشتقاق مفردات المصطلح أو نحته من أصول عربية، وبهذا يغتني رصيد اللغة بألفاظ جديدة ومفاهيم علمية جديدة. وما يذكر من اقتراض اللغة العربية للمصطلح في هذه الفترة مثلا لفظ (VA mos) نقل إلى العربية" ناموس" (Namus) ويعني قانون ، فقد منح صوتا ولفظا مفهوما و مقبولا في العربية، كما ترجم حنين قوانين أفلاطون إلى العربية واقترضت المصطلحات العلمية الطبية وأدرجت في الكتاب بألفاظها اليونانية وأرفقت بشرح عربي للمفهوم وبملاحظات على الهامش .

فمصطلح "غلوكون" يشرحه حنين بقوله " إنها أمراض تحدث على مستوى الغدد ولا نعرف لفظا عربيا يقابلها"[8]

والملاحظ أنه في تنقيح الترجمات الأولى من مترجمي الجيل الثاني تم تبديل الألفاظ اليونانية بألفاظ عربية فلفظ (Kategriae) عرب إلى"كاتيغورياس" ثم ترجم في الأخير إلى" مقولات"[9]

5. حاجتنا للمصطلحية:

ولقد تطلب التوسع الحضاري وكثرة العلوم والمبتكرات من اللغة مواكبة الحياة لطبيعة المتغيرات التي أصابتها وتصيبها ، واللغة كائن حي لابد أن تسايرها، وهذا يجعلها تنشئ مصطلحات تمكنها أكثر من الاستمرار في التعبير عن المقاصد، ف" التوسع المعرفي والتقدم العلمي والتطور التكنولوجي تقتضي جميعها استعمال عدد جد متزايد من الألفاظ والتعبيرات وتطويعها واستخدامها، ومن هنا كانت الأهمية البالغة للحفاظ على اللغة وقدرتها على مواكبه مسيرة الحضارة والبقاء في زمرة اللغات الحية، وهو أمر لا يتأتى إلا بتوفير إمكانيات الإنجاب والتنمية، شأن اللغة في ذلك شأن ابن آدم نفسه الذي إن أصيب بالعقم باء وباد "[10]

تأخذ المفردة في اللغة الحية عدة مدلولات في السياق الذي توجد فيه، وقد تنتقل من مدلول لأخر عبر السنين وبحسب التطور الحضاري الذي يجعلها توظف للتعبير عن المستجدات والمبتكرات في العلوم والفنون خاصة، فهناك مصطلحات تشكل واقعا ظاهرا في اللغة العربية أو اللغات الأجنبية ، والحال هذه " وكثيرا ما نجد مصطلحا واحدا يختلف معناه من ألسني إلى أخر، كما المعنى الواحد قد يكون له أكثر من مصطلح واحد للغويين عددين""[11]

واليوم وقد مست الحاجة في حياتنا العلمية والنقدية إلى المصطلح باعتباره مفتاحا للفهم الدقيق وللتواصل المعرفي، فيصير للكلمة معنى خاصا – بدل معناها العام-ليتسم بالدقة والوضوح في مجال العلم الذي وجد فيه،

فيتجاوز بذلك المعنى اللغوي المعجمي لمعنى جديد، يناسب المفهوم المعبر عنه في مجال تخصص بعنيه، يقر به أهله و به يتواصلون، بعدما تواضعوا عليه لأداء معنى محدد، وبهذا يصير أداة تواصل حضاري لتأدية المعنى بدقة ويسر.

ومنه فإن المصطلح لا بد أن تتوفر فيه سمات الوضوح والدقة والذيوع، فالمصطلح كلمة محددة اكتسبت شحنة دلالية معينة بالاستعمال في مجال علم محدد، وبهذا أقصيت عن جمالية الانزياح اللغوي.

6. صياغة المصطلح:

لا بد أن نشير إلى أن الحاجة صارت ماسة في عصرنا للتعبير عن المبتكرات والمستنجدات بألفاظ لم يسبق لها لتعبر بمضامينها ودلالاتها عنها في شتى مجالات العلوم الطبيعية والفيزيائية والإنسانية.وباقتحام اللغة العربية لها جعلها قابلة لتقاوم مظاهر الجمود، وتكشف لمحبيها والناطقين بأنها قابلة لتستمر في الحياة من خلال تفجيرها عبر إخصابها وإغناها وتنميتها بالمصطلحات.

ولقد أدى التواصل الحضاري بين العرب والأمم الأخرى في عصر النهضة وقبلها إلى استعارة الكثير من المفردات الاصطلاحية في اللغة العربية لسد نقص ظاهر فيها، وترتب عن ذلك دخول الكثير من الكلمات الأجنبية في اللغة العربية ويظهر هذا بجلاء في الأتي:

1.6. الاستعارة اللغوية: (المباشرة وغير المباشرة)

1.1.6. التعريب:

تتطلب ترجمة المعارف استعارة المصطلح أو تعريبه، وهذا عامل من عوامل إثراء اللغة بالمصطلح، الأمر الذي يمكنها من الخوض في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية.

ولقد ابرز مجمع اللغة العربية في مصر أهمية التعريب، فله" في عصرنا الحديث فوائد تتخلص في غنى اللغة بذخيرة من الكلمات التي تعبر عن كل ظلال المعاني الإنسانية، كما أنه يمدنا بفيض من المصطلحات العلمية الحديثة التي لا نستغني عنها في نهضتنا العلمية"[12].

وأوصت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في مؤتمرها العاشر المنعقد في الفترة بين 20 إلى 25 جوان من عام 2002، بأن يحتوي كل كتاب علمي منهجي على مسرد عربي أجنبي، وأجنبي عربي يضم كل المصطلحات العلمية الواردة فيه،كما دعت إلى وضع الكتب العربية التي عربت المصطلح في متناول الجامعات والمؤسسات ، وأوصت أيضا بدعم الطباعة المعجمية وكذلك مختلف الأبحاث والمشروعات التي تخدم التعريب كمشروع الذخيرة اللغوية ومشروع المعجم الصحفي المعاصر...

2.1.6. التركيب:

يعتبر التركيب وسيلة لإيجاد وتنمية المصطلح في اللغة العربية، والكثير من المصطلحات الحديثة المركبة تولدت لمجاراة الأبنية المركبة الغربية.

قد تعمد إلى اصطناع المصطلح بالتركيب، ويقوم على ترجمة المصطلح المركب في لغته إلى اللغة العربية لينتج تركيبا عربيا يفي با لغرض الذي يؤديه المصطلح الغربي و"يعد التركيب من أهم وسائل تكوين المصطلحات العربية، والمقصود بالتركيب ترجمة العناصر المكونة لمصطلح أوربي إلى اللغة العربية وليتكون تركيب

عربي من أكثر من كلمة يؤدي معنى المصطلح الأوربي"[13].

و"بالنظر في الأبنية التركيبية العربية المحدثة في العصر الحديث، فإنه يمكن تصنيفها إلى التركيب المزجي العربي والتركيب المزجي المختلط والتركيب المزجي الدخيل"[14].

أولا: التركيب المزجي العربي:

فمكونات التركيب المزجي العربي عربية ويأخذ الصور الآتية:

1 – (لا+اسم أو مصدر)، ولقد مكن هذا التركيب من التعبير عن مفاهيم فلسفية وسياسية، واجتماعية وعلمية،مثل:لا شعور – لا وجود- لا انتماء- لا مركزية- لا سلكي...

2 - (شبه+ اسم)، ونتجت عن هذا التركيب مصطلحات مثل :شبه جزيرة،شبه طبي،شبه عسكري.

3-(غير+اسم)، ونتجت عن هذا التركيب مصطلحات مثل: غير مباشر- غير دستوري..

4-(عدم+اسم) ونتجت عن هذا التركيب مصطلحات ك: عدم الانحياز-عدم الارتياح.

5-(سوء+اسم) ونتجت عن هذا التركيب مصطلحات ك: سوء إدارة-سوء نية-سوء وضع-سوء معاملة [15].

ثانيا: التركيب المزجي المختلط:

يصاغ هذا التركيب من اسم عربي ونهاية أجنبية، وهو منتشر خاصة في علم الكيمياء. "ومن أهم النهايات الأجنبية التي اتخذتها هذه الصيغ المركبة(يد =IDE)و(آت=AtE)والأمثلة عليها كبريتد،كبريتات "[16].

ثالثا: التركيب الدخيل:

ومكونات هذا المصطلح أجنبية دخيلة لا توجد فيها لمسة عربية ولذلك نذكر مثلا: ميكروسكوب، بارومتر، ترمومتر.

1.6. الاشتقاق:

وهو شكل من أشكال صياغة المصطلح من نفس المادة، وهذا بالاعتماد على الحركات على أساس قياسي ثابت، مما يسمح بإثراء اللغة العربية بالمصطلح و تتميز مفردات العربية بقبولها للاشتقاق الصغير والأكبر والكبار؛ لأنها تستثمر المادة اللغوية بجميع الصور والتقاليب.

يهدف الاشتقاق إلى النظر في الألفاظ والمعاني المتشابهة، ولهذا اهتم به دارسو المصطلحية من اللغويين المعاصرين،فهو يمكن من" صوغ كلمة من أخرى على حسب قوانين الصرف" [17].

والملاحظ على الاشتقاق في المفهوم الغربي بأنه علم نظري يتتبع تطور ألفاظ القاموس عبر التاريخ وما أصاب معناها من تغيير، أما الاشتقاق في المفهوم العربي فهو علم تطبيقي، لأنه عبارة عن توليد الألفاظ بمعناها الخاص الجديد [18] .

وفي اللغة العربية كثير من المصطلحات المسيرة المعاصرة المشتقة ونذكر لذلك: سيارة، حوامة، غواصة، جرافة، فرامه، ثلاجة، حاسوب.

3.6. النحت:

والنحت شكل من أشكال الاشتقاق وتوليد المصطلح في العربية، وهذا ما يسمح بتزويد اللغة وإمدادها بالكثير منها في مختلف المجالات، ويكون النحت بـ"أن يعمد إلى كلمتين أو جملة، فتنزع من مجموعة حروف كلماتها كلمة، فهذه تدل على ما كانت تدل عليه الكلمتان، أو الجملة نفسها"[19] .

ولقد رخص مجمع اللغة العربية في القاهرة بنحت الكلمات في العربية للضرورة العلمية ونص في قراره بأنه"يجوز النحت عندما تلجئ الضرورة العلمية إليه"[20]

ومن الألفاظ المنحوتة في اللغة العربية نذكر: برمائي، كهرومغناطيسي، ومن المنحوتات الدخيلة للعربية نذكر: جيوفيزيائية، جيواستراتيجية، بيروقراطية.

4.6. القياس:

يمكن القياس من إثراء اللغة بالألفاظ وبالمصطلحات، ويقوم باستنباطها من قواعد اللغة"وقد اهتم مجمع اللغة العربية بوضع الضوابط القياسية لتكوين الأفعال التي لم تذكرها المعجمات العربية، والتي يتطلب التعبير إيجادها للدلالة على المفاهيم بدقة"[21]

وتتجلى إجمالا في مايلي:

أولا: المصدر الميمي:

ويتخذ أداة لا اصطناع المصطلح فيدل على معنى يكون مجردا من الزمان والمكان و يبدأ بميم زائدة في غير المفاعلة ومن أمثلته: منحدر، مرتقى، موعد، منفعة، مسألة، مقدرة.

ثانيا: المصدر الصناعي:

المصدر الصناعي اسم تلحقه ياء النسبة وبعدها تاء التأنيث للدلالة على صفة في ذلك الاسم كل ما لحقته ياء النسبة متبوعة بتاء التأنيث ما لم يذكر الموصوف لفظا أو تقديرا مصدرا صناعيا، فإذا ذكر الموصوف أو قدر فهو اسم منسوب [22] ومن الأمثلة عالمية: مصطلحية، كيفية.

ثالثا: اسم الآلة:

وهو اسم يدل على ما يؤديه الفعل بواسطته وهو مشتق وجامد، أما الأول فله ثلاثة أوزان: مفعل ك "مكبح، مقود. مفعال: كمفتاح، ميزان، مفعلة ك"مجرفة، مقصلة". أما الثاني (الجامد) فسماعي وليس وزن محدد ك" سيف، قلم، سكين"[23].

7. اضطراب المصطلح وتعدده واختلافه في الوطن العربي:

إن اضطراب المصطلح وتعدده واختلافه في البلد الواحد وفي الوطن العربي راجع - في تصوري- إلى اختلاف مصادر ثقافات الدارسين، واختلافات فهمهم للمصادر التي أخذوا أو ترجموا عنها إلى اللغة العربية ،ولابد أن نشير أيضا إلى انقطاع التواصل بينهم وتعصب كل واحد منهم لرأيه ووجهة نظره ، و إلى إعجاب البعض منهم بذاته، فيأخذه الغرور والانفعال والحماسة، كما كان لتعدد المدارس والمناهج أثر بالغ في تعقيد المصطلح، فصار مختلفا مستعصيا بدل أن يكون موحدا أو متقاربا . وهذا الأمر أفرز أزمة المصطلحية في اللغة العربية.

إن اختلاف المصادر الأجنبية التي استعير منها المصطلح بكل أنواعه وتنوع المدارس والتيارات الفكرية والمذهبية أدى إلى اختلاف وتنوع وتعدد وتباين المصطلح.

وللغتنا العربية قدرة عظيمة على اصطناع المصطلح وتوليده وصياغته-كما ذكرنا-بما لا يدع مجالا للشك التذكير بغنى ارثنا العربي بمصطلحات نقدية ولسانية انبثقت من زخم حضارتنا العلمية، إلا أن انحسار دورنا الحضاري في عصر الانحطاط أثر على كياننا المعرفي الذي لا يستمر إلا بالاستقرار والثبات ، والأمة تسعى لاستعادة هذا الدور لإبراز شخصيتها المعرفية بالرجوع إلى تدقيق المصطلح وتأسيسه لتساير واقعها الحضاري الجديد ببناء مفاهيم علمية جادة تتوسم فيها رسالتها الحضارية.

إن تعدد المصطلح و للمفهوم الواحد بين ثقافات مختلفة ولد أزمة في التوظيف منذ النصف الأول من القرن الماضي (القرن العشرين)، لا على المستوى الأدبي والنقدي بل على الصعيد العلمي والتقني، بسبب التطور المذهل الذي أخذت تعرفه الحياة العربية منذ مطلع عصر النهضة ، فالخلط بين الدلالة اللغوية العامة ، والدلالة اللغوية الخاصة تعتبر سمة لتعقد المصطلح العلمي والنقدي خاصة،فإذا كانت اللغة العامة تسمح لنا بالحرية في الكلام ، فإن المصطلح يحتم علينا الالتزام بمدلولها الخاص عند الاستخدام.

ومن مظاهر الأزمة المصطلحية أيضا الاضطراب والتباين في ترجمة المصطلح الغربي الواحد، ولذلك نذكر مثلا مصطلح (vers libre) بالفرنسية للتعبير عن الشعر الجديد في فرنسا فقد وجد في العربية للتعبير عن هذا المصطلح أكثر من عشرة مصطلحات وهي:

الشعر الحر-الشعر الحديث – الشعر المعاصر – شعر الحداثة – شعر التفعيلة –الشعر المحدث-الشعر الحر المنطلق – الشعر الجديد – الشعر المرسل المنطلق – الشعر العمودي المطور-الشعر المستحدث.

إن ابرز سمات المصطلحية خاصة في النقد الأدبي هي الفوضى لانعدام التنسيق بين الدارسين، وقد وجدت هذه الظاهرة في البلد الواحد أو بين بلدان الوطن العربي، فكل باحث صار يمثل مدرسة أدبية نقدية معزولة عن غيرها من المدارس،وهذا أدى إلى التعدد المصطلح ، وشعور كل واحد منهم بأنه أحق أن يتبع.

و لذلك فقد اقتضت الدراسات الأكاديمية الحديثة والمعاصرة ضبط المصطلح وتدقيقه حتى لا تتلبس المفاهيم في أذهان الدارسين فتتشعب وتختلط ، وفي هذا يقول عبد السلام المسدي:" إن السجل الاصطلاحي هو الكشف المفهومي الذي يقيم للعلم سوره الجامع وحصنه المانع، فهو كالسياج العقلي الذي يرسي حرماته رادعا إياه أن يلابس غيره، وحاضرا غيره أن يلتبس به، ومتى تحلى الدال بخصلتي الجمع والمنع كان على صعيد المعقولات بمثابة الحد عند أهل النظر المقولي الذين هم المناطقة، فيكون للمصطلح الفني في شبعته من شعاب شجرة المعرفة الإنسانية سلطة ذهنية هي سلطة المقولات المجردة في علم المنطق" فلا شذوذ إذا اعتبرنا الجهاز المصطلحي لكل علم صورة مطابقة لبنية قياساته، متى فسدت فسدت صورته، واختلت بنيته فيتداعى مضمونه بارتكاس مقولاته "[24]

ولضبط المصطلح وتفادي كل التباس افرد الأستاذ عبد السلام المسدي في كتابه الأسلوبية والأسلوب، الصادر عن الدار العربية الطبعة الثانية 1982، جزءا خصصه للمصطلحات بدءا من الصفحة 99 مع ذكر من بادر باستعمالها، قد لاحظنا على هذه المصطلحات وجود اختلافات ومترادفات للمصطلح الواحد، وهذا راجع لمفهوم الواقع اللغوي النفعي والمفهوم اللغوي المكرس فمصطلح الانزياح وظف في العربية عدة توظيفات وبعدة مسميات تبعا لاتجاهات النقدية وهذا كما يلي:

الانزياح: L'ECART (L'ABUS) VALéry) التجاوز:

الانحرافla déviation (Spitzer)

الاختلال: la distorsion (wellk et werren) -

الإطاحة: la subversion - (peytard) .

المخالفة: l'infraction- (Thiry) –

الشناعة: la scandale- (Barthes)
الانتهاك: le viol - (Cohen) -
خرق السنن: la violation des normes اللحن: l'incorrection- (Todorov)
العصيان: la transgression– (Aragon) –
التحريف : l'altération - (le groupe « mu »).
ومسألة اختلاف وتعدد المصطلح الموضوع للكلمة الواحدة في العربية مطروح بحدة أيضا، فقد يتفق الواضعون في المصطلح ويختلفون في مفهومه، وقد يتفقون في المفهوم ويختلفون في المصطلح، ونجد هذا في اصطناع المصطلح أو في ترجمته وهذه الظاهرة أدت إلى صراع المصطلحية العربية و صارت ظاهرة للضع..ف الحضاري تعرقل النهوض بالعلوم في العربية، فإذا أمعنا النظر في مصطلح "السيمياء" وجدنا تعدد المصطلح لنفس المدلول "السيمة و"السيميائية "و"الرموزية" و"السيميولوجيا" و"السيميوطيقا" ،"فإذا انتقلنا إلى المصطلحات الأخرى داخل العلم نفسه صادفنا المشكل نفسه، فكلمة' (code) تترجم بـ :" كودة "سنن" "دستور" "شيفرة"، ويرى المترجمون أن "سنن" لا تدل على (code)؛ لأنها تختص بالشرع ، وأن دستور لا تدل عليها أيضا لأنها مقصورة على الحقوق و"الشيفره" كذلك لا تدل عليها،أي (code) لأنها تدل على الكودة السرية، ومن ثم وجد بعضهم الحل في النقل الحرفي للكلمة الأجنبية فقالوا (code) كودة " [25] .

8. في سبيل توحيد المصطلحية العربية:

تطلبت الحاجة للمصطلح وضبطه جهودا فردية أو جماعية، لغرض تقريب المفاهيم العلمية ومن هؤلاء على سبيل المثال نذكر الأستاذ الطيب البكوش في تمهيد ترجمته لكتاب" مفاتيح الألسنية"، بحيث حرص على تذييل الكتاب بالمصطلحات العربية المقابلة للفرنسية فكونت خمسمائة مصطلحا.

ولقد عمل في الكتاب على تدقيق المصطلحات العربية لتكون معبرة بدقة متناهية على نظيرتها الفرنسية، والحرص على اشتقاق مصطلحات عربية كإضافة اللاحقة" م" للفظ صوت ليصبح صوتم نظير (Phonème)، يقول:" وقد فضلنا على الدخيل التام اقتباس هذه اللاحقة، فالإضافة إلى أنها في حد ذاتها ليست غريبة عن اللغات السامية(...) فتمكننا من إثراء العربية بمجموعة جديدة من الألفاظ منها إلى جانب صوتم، لفظم..."[26]

كما فضل المصطلحات المفردة ليسهل الاشتقاق منها: صواتمية= نظام الصواتم phonématique ، حروفية= نظام الحروف Consonantisme...

التعبير عن أسماء العلوم المركبة" علم كذا" بصيغة من نفس المادة في المفرد أو الجمع متبوعة بملاحقة "ية" علم الأصوات= أصوتية- علم الدلالة= دلالية"[27] .

حاولت المجامع اللغوية العربية وكثير من هيئات البحث بالإضافة إلى جهود الباحثين الفردية على إيجاد آلية موحدة تمكن من نقل المصطلح من مصادره إلى العربية أو بالاتفاق على اصطناع مصطلح موحد يدل على مدلول موحد فيها إلا أن هذه الجهود لم تكن تكلل بالنجاح فلم تكن هناك أرضية موحدة لتحديد النقاش وتوحيد الآليات، ونجد هذا في كتاب الترجمة والمصطلح دراسة في إشكالية ترجمة المصطلح النقدي الجديد للسعيد بو طاجين وفيه تناول بالدراسة خمسة مجامع لغوية عربية

هي المجمع العراقي والمصري والسوري والأردني والجزائري،واعتبر مثلا العمل الذي قام به المجمع العراقي مقبولا، لكنه أعاب عليه بعض السقطات الإجرائية والمنهجية في التعامل مع المصطلح.

أما مجمع اللغة العربية في الجزائر فقد ركز الباحث على بيانه التأسيسي ليبين فظاعة الأخطاء اللغوية الواردة فيه ليصل إلى أن أخطاء من هذا النوع ترد في مقدمته كعمل احترافي في اللغة العربية ويتقنون لغات أجنبية فما ندري كيف ستكون ترجمة مصطلحات حقل معرفي أو أكثر بتنوعها وخصبها وتعقيدها واختلاف سياقاتها ومرجعياتها( ).

لقد أمست الحاجة في الوطن العربي إلى توحيد المصطلح في مختلف المجالات، ذلك أن استعمال اللغة العربية لغة حية وقومية تمارس بها كل ضرورات ومتطلبات التواصل الإنساني والبحث العلمي، يقتضي دفع عجلة التقدم نحو الإبداع، كما أنه يغني ويثري اللغة العربية ويحافظ على وحدة الأمة ويحقق أمنها اللغوي.

وبالرغم من الجهود المبذولة في المجامع اللغوية العربية-في ما صدر عنها من مجلات ومعاجم كرست للمصطلحات- فان ما ابتكر منها ونشر لم يجد طريقة للذيوع" فما ينشر من المصطلحات المعربة والألفاظ محدود التداول من جهة ولا يصل إلى أيدي الأساتذة والمعلمين والمؤسسات ذات العلاقة من جهة أخرى، ثم لا توجد سياسة لغوية تخطط لإشاعة هذه المصطلحات والألفاظ قبل شيوع مقابلها الأجنبي في السوق والمعمل أو في كليات الجامعات"[28].

9. خاتمة:

وكل ما يمكن قوله بعد هذا العرض هو أن المصطلح أساس كل بناء علمي ونقدي، وبه تضبط المفاهيم وتحدد المدلولات.

وللغتنا العربية قدرة عظيمة على اصطناع المصطلح وتوليده وصياغته، ولقد استعمله العرب في عصور ثقافتهم الذهبية اختصارا للمفاهيم ،كما بينت المجامع العلمية الحديثة فائدته وخاصة في المجالات العلمية والفنية والتقنية،كما أن اصطناع المصطلح يمكن اللغة للتعبير عن الحياة والأفكار بتعريب ما يمكن اللغة من الانتعاش بالاقتباس والأخذ من اللغات الأخرى بتطويع المأخوذ لأصوات وأبنية وقواعد العربية ، وتعد الترجمة الحرفية والمعنوية وسيلة أيضا لاصطناع المصطلح في العربية . وما لا يدع مجالا للشك التذكير بغنى ارثنا العربي بمصطلحات نقدية ولسانية انبثقت من زخم حضارتنا العلمية، إلا أن انحسار دورنا الحضاري في عصر الانحطاط أثر على كياننا المعرفي الذي لا يستمر إلا بالاستقرار والثبات.

إن اضطراب المصطلح وتعدده واختلافه في البلد الواحد وفي الوطن العربي راجع في تصوري إلى اختلاف مصادر ثقافات الدارسين واختلافات فهمهم للمصادر التي أخذوا عنها أو ترجموا عنها إلى اللغة العربية، ولابد أن نشير أيضا إلى انقطاع التواصل بينهم وتعصب كل واحد منهم لرأيه ووجهة نظره، كما كان لتعدد المدارس والمناهج أثر بالغ في تعقيد المصطلح فصار مختلفا مستعصيا بدل أن يكون موحدا أو متقاربا .

والأمة العربية تسعى لاستعادة دورها الحضاري لإبراز شخصيتها المعرفية بالرجوع إلى تدقيق المصطلح وتأسيسه لتساير واقعها الجديد ببناء

مفاهيم علمية جادة تتوسم فيها رسالتها الحضارية.

[1] - عبد الحميد ختالة : تأصيل المصطلح النقدي بين الترجمة والتعريف والبحث في الجذر الفلسفي ، محاضرات الملتقى الدولي الأول في المصطلح النقدي ،9-10 مارس 2011،جامعة قاصدي مرباح ،ورقلة، ،ص95

[2] - جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت ،1979،ص252.

[3] - ينظر: أبو عثمان (الجاحظ) :البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ،ج1 الناشر مكتبة الخانجي القاهرة، ط1418،07 هـ ،1998م ،ص 368

[4] - مريم سلامة كار:الترجمة في العصر العباسي، مدرسة حنين بن إسحاق وأهميتها في الترجمة، ترجمة نجيب غزاوي، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق 1998،ص11

[5]- أبو عثمان الجاحظ (الجاحظ)، مرجع سابق ، ص139

[6]- مريم سلامة كار ، الترجمة في العصر العباسي، مدرسة حنين بن إسحاق وأهميتها في الترجمة مرجع سابق، ص 81

[7]- المرجع السابق ،ص11

[8] - نقلا عن مريم سلامة كار،الترجمة في العصر العباسي مرجع سابق، ص 49.

[9]- ينظر:المرجع نفسه،ص 49

[10] - جلال شوقي: المصطلح العلمي بين الثراء والاغتناء،مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد المزدوج 42 ،43،السنة السادسة عشرة كانون الأول / كانون الثاني1993 م،ص 11

[11]- مبارك مبارك: معجم المصطلحات الألسنية، فرنسي- انكليزي – عربي- دار الفكر اللبناني ، بيروت الطبعة الأولى 1995،ص5.

[12]- إبراهيم أنيس:من أسرار اللغة ،مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ،1978، ص131 .

[13]- محمود فهمي حجازي:اللغة العربية عبر القرون ،دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة 1978،ص،.97

[14]- المرجع نفسه ص،98.

[15]-ينظر: المرجع السابق ،ص،99،98.

[16] -المرجع نفسه،ص100.

[17] - المعجم الوسيط، القاهرة،دار المعارف،مصر،1994، مادة شقق ص،489.

[18]- ينظر:رمضان عبد التواب: فصول في فقه اللغة،القاهرة ، الطبعة 2 ،ص،29.

[19]-جلال شوقي، : المصطلح العلمي بين الثراء والاغتناء، مرجع سابق ،ص،23.

[20]- محمود فهمي حجازي اللغة العربية عبر القرون، مرجع سابق، ص،97.

[21]- محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، مكتبة غريب، القاهرة، 1993، ص41.

[22]- ينظر: السيد أحمد الهاشمي: القواعد الأساسية للغة العربية،دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان (د،ت)،ص307

[23]- ينظر: المرجع نفسه، ص322.

[24] -عبد السلام المسدي. قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب،ص11.

[25]- أحمد جاب الله السيمياء: مفاهيم أبعاد، محاضرات الملتقى الأول ، السيمياء والنص

للطباعة والنشر، الجمهورية التونسية 1994،ص 12.

[27] - ينظر: المرجع نفسه ،ص ،13.

[28]- زهير غازي زاهد: العربية والأمن اللغوي، عمان، مؤسسة الوراق،2000،ص70.

الأدبي، 7،8 نوفمبر2000 ، جامعة محمد خيضر ، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم الأدب العربي، منشورات الجامعة، دار الهدي عين مليلة، الجزائر،ص 48.

[26]- جورج مونان:مفاتيح الألسنية،ترجمة الطيب البكوش،منشورات سعيدان، مؤسسة سعيدان